الآيات من 44 - 48

نماذج من سوء أخلاق اليهود

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

أسباب النزول والمناسبة

المناسبة: لا تزال الآيات تتحدّث عن بني إسرائيل، وفي هذه الآيات ذمٌّ وتوبيخ لهم على سوء صنيعهم، حيث كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه، ويدعون النّاس إلى الهدى والرّشاد ولا يتّبعونه.

عن ابن عبّاس ﷺ، قال: نزلت هذه الآية (٤٤) في يهود المدينة، كان الرجل منهم يقول لصهره ولذوي قرابته ولمن بينهم وبينه رضاع من المسلمين: اثبت على الدّين الذي أنت عليه، وما يأمرك به، وهذا الرّجل يعنون محمّدًا ﷺ، فإنّ أمره حقّ، فكانوا يأمرون النّاس بذلك ولا يفعلونه. ﴿ولا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ العدل هنا بمعنى الفداء.

المعنى العام

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[1].

يقول الحقّ ﷻ في توبيخ أحبار اليهود: أنهم كانوا إذا استرشدهم أحد من العرب دلّوه على الإسلام، وقالوا له: دين محمّد حقّ، وهم يمتنعون عنه، وقيل: كانوا يأمرون النّاس بالصدقة وهم يبخلون، فقال لهم: كيف ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ والإحسان، وتتركون ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ في الكفر والعصيان، وأنتم تدرسون التّوراة الصحيحة، وتعلمون أنّ ذلك من أقبح القبائح؟ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي أفلا تفطنون وتفقهون أن ذلك قبيح فترجعون عنه؟

وليس المراد من قوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ ذمّهم على أمرهم بالبرّ مع تركهم له، بل على تركهم له، فإنّ الأمر بالمعروف معروف، وهو واجب على العالِم، ولكنّ الواجب والأولى بالعالم أن يفعله مع من أمرهم به ولا يتخلّف عنهم، كما قال شعيب ﷺ: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[2]، لذلك على الدّاعي الذي يعطي الآخرين، أن يعطي نفسه قبلهم، فكلٌّ من الأمرِ بالمعروف وفِعلِه واجب، لا يسقط أحدهما بترك الآخر على أصحّ قولي العلماء من السّلف والخلف. إنّ العالم يأمر بالمعروف وإن لم يفعله، وينهى عن المنكر وإن ارتكبه، قال سعيد بن جبير: لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتّى لا يكون فيه شيء، ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر، وقال الإمام مالك: صدَق، مَنْ ذا الذي ليس فيه شيء؟

(١) سورة البقرة، الآيات: ٤٤- ٤٨.

(٢) سورة هود، الآية: ٨٨.

﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

أي يا مَن ابتُلي بالرّئاسة والجاه، واستكبر عن الانقياد لأحكام الله التي جاءت بها الرّسل من عند الله، استعن على نفسك ﴿بِالصَّبْرِ﴾ على قطع المألوفات، وترك الحظوظ والشّهوات، وأصل فروعها حبّ الرئاسة والجاه، فمن صبر على تركهما فاز برضوان الله. وفي الحديث: «واعلَم أنّ الصّبرَ على ما تكرَهُ خيرٌ كثير»[1]. قال الشّاعر صالح بن عبد القدّوس:

والصَّبْرُ مِثْلُ اسْمِهِ مُرٌّ مذَاقَتُهُ ... لكِنْ عَواقِبُه أحلَى مِن العسلِ

والصّبر على ثلاثة أنواع: الصّبر على الطّاعات والصّبر عن المعاصي والصّبر على البلاء.

قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ﴾ أي استعينوا على طلب الآخرة ومرضاة الله بالصّبر على الفرائض والصّوم ﴿وَالصَّلَاةِ﴾ بالصّلة مع الله والدّعاء والصّلاة على النّبيّ ﷺ، فإنّ في الصّوم كَسْرَ الشَّهْوَةِ وتصفية النّفس من الرذائل فتتحلّى النّفس بأنواع الفضائل. ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ أي إنّ الصّلاة شاقّة على النّفس لتكررها في كلّ يوم، ومجيئها وقت حلاوة النّوم، ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ الذين سكنت حلاوتها في قلوبهم، وتناجوا فيها مع ربّهم، حتّى صارت فيها قُرَّة عينهم، كما حدّثنا رسول الله ﷺ: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»[2]، وبالتالي الله يفهّمهم معاني ويشهدهم مشاهد، أرحنا بها يا بلال: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ أي الذين يتيقّنون ﴿أَنَّهُم مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ يتنعّمون بالنّظر إلى وجهه الكريم، ويعلمون يقينًا أنّهم راجعون إلى ربّهم بالبعث والحشر للثّواب والعقاب. وقبل الموت، شهود الله في الدنيا، فإذا كنت على يقين أنك تعمل هذا العمل في الدنيا لتلقى الله تعالى فافعل ما يرضيه وسارع فيه وهو يخفّف عنك ألم المشاق، "أين المحبّون الذين عليهم بذل النفوس مع النفائس هانا" فإذا كنت تحبّ، تجد نفسك تضحّي ولا تشعر بالتعب، وإذا ضحّيت والله تعالى رأى منك كثرة شوقك إليه، فسرّع إليك العطاء، وأكرمك بالدنيا بشهوده وعند الموت بلقائه وفي الجنّة رؤيته. فالإنسان الذي فهم سبب نزوله إلى الأرض وأدرك مهمّته، كان في حالة رجاء وحبّ وشوق دائم للقاء ربّه.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

لمّا أمرهم بالأصول والفروع، ذكّرهم بالنّعم، وخوّفهم بالوعيد على عدم شكرها.

يقول الحقّ ﷻ: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ﴾ عليكم وعلى آبائكم بالهداية وبعث الرّسل، ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ من أهل زمانكم، فاذكروا هذه النّعم واشكروني عليها بأن تتّبعوا هذا النّبيّ الجليل، الذي تجدونه مكتوبًا عندكم في التّوراة والإنجيل، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي﴾ وخافوا يومًا لا تَقْضي فيه ﴿نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾ بحيث لا تجلب لها نفعًا، ولا تدفع عنها ضررًا، ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ إن وقعت الشّفاعة فيها، فإنّه لا ينفعهم قرابة قريب، ولا شفاعة ذي جاه، ولا يقبل منهم فداء ولو بملء الأرض ذهبًا.

(١) رواه البيهقيّ في الشعب، عن ابن عبّاس، ١١٢- الرجاء من الله تعالى، حديث رقم: ١٠٤٣.

(٢) رواه أحمد في المسند، عن أسماء، مسند عبد الله بن عمر بن العاص، حديث رقم: ١٤٠٣٧، وإسناده حسن.

لطائف الإشارات للسّلوك والتّزكية في الآيات

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

من هدي الآيات:

١. الصّبر مفتاح سعادة الدّارين.

٢. قبح سلوك من يأمر غيره بالخير ولا يفعله.

٣. وجوب اتّقاء عذاب يوم القيامة بالإيمان وشكر المُنعِم والعمل الصّالح بعد ترك الشّرك والمعاصي.

٤. تقرير أنّ الشّفاعة لا تكون لنفس كافرة، وأنّ الفداء يوم القيامة لا يُقبل أبدًا من كافر.

٥. استحقاق كلّ مقصّر في واجبه العقاب واللوم، فطاعة الأوامر الإلهيّة وعدم مخالفتها تتطلّب الصّبر.

س ما الفرق بين بني إسرائيل واليهود؟

ج كان لسيّدنا إبراهيم عليه السلام ابنان: إسماعيل وإسحاق (من أنبياء الله)، فأنجب نبيّ الله إسحق ابنه يعقوب عليه السلام، وكان ليعقوب اسم آخر هو إسرائيل، كما سمّاه تعالى في القرآن الكريم: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[1].

فإسرائيل هو سيّدنا يعقوب عليه السلام نبيّ الله وولده يوسف عليه السلام نبيّ الله.

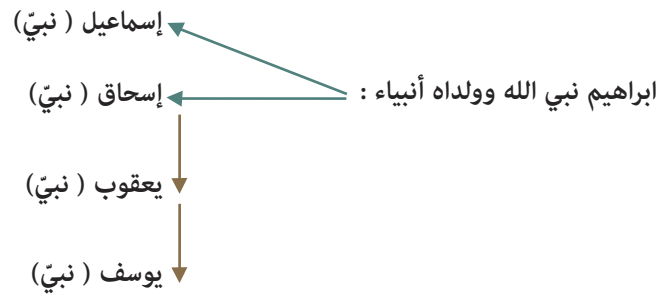

عن ابن عمر رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «الكَرِيمُ، ابْنُ الكَرِيمِ، ابْنِ الكَرِيمِ، ابْنِ الكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عليهم السّلام»[2].

وكان ليعقوب اثنا عشر ١٢ ولدًا من البنين، منهم: سيّدنا يوسف عليه السلام وأخوه بنيامين، والأسباط العشرة، فأبناؤه بنو إسرائيل. تزوّج أبناء يعقوب أي إسرائيل عليه السلام الاثنا عشر فأنجبوا أبناء وأحفادًا وهكذا، فبنو إسرائيل قوم من أبناء يعقوب وأحفاده.

فالأسباط الاثنا عشر هم أبناء سيّدنا يعقوب عليه السلام، ومن كلّ سبط منهم تحدّرت سُلالة - جذع - لذلك أُطلق عليهم أسباط بني إسرائيل، وكان منهم الأنبياء الذين ذكرهم الله تعالى في القرآن الكريم.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٣.

(٢) رواه البخاريّ في صحيحه، عن ابن عمر، كتاب: أحاديث الأنبياء. باب: قول الله تعالى: ﴿لقد كان في يوسف﴾، حديث رقم: ٣٣٩٠.

س فبنو إسرائيل عبارة عن قوم وليسوا عبارة عن دين. فما هو دينهم؟

ج كان دينهم الإسلام، كما نصّ القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ* وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ* أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[1].

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي قال لسيّدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿وَوَصَّى بِهَا﴾ أي بالإسلام، ﴿بَنِيهِ﴾ إسماعيل وإسحق ﴿وَيَعْقُوبُ﴾ أي حفيده.

ثم ذكر الله تعالى يعقوب- إسرائيل- فقال: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾. فالقرآن الكريم نصّ بصريح العبارة أنّ إبراهيم كان مسلمًا، وإسحق كان مسلمًا، ويعقوب كان مسلمًا -عليهم جميعهم السّلام-، فكلٌّ منهم يوصي أولاده بأن يكونوا مسلمين من بعده. ولكن مع تقدّم الزمان ثبت بعضهم على الإسلام، وكفر بعضهم الآخر وعبد الأوثان.

كرّم الله تعالى بني إسرائيل وشرّفهم في القرآن الكريم، فجعل منهم الأنبياء: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾[2]. واعلم أنّ من سبّ إسرائيل- يعقوب- نبيّ الله ورسوله، وهو يعلم أن إسرائيل نبيّ الله ورسوله يُخشى عليه الكفر، لأنّه سبّ نبيًّا.

س أين سكن إسرائيل- يعقوب عليه السلام ؟

ج كان يعقوب عليه السلام يسكن في فلسطين، بلد الخليل إبراهيم عليه السلام، وبعد أن حصلت قصّة سيّدنا يوسف عليه السلام كما ذكرها القرآن الكريم وأصبح المسؤول عن خزائن الدولة، دعا والديه، إسرائيل وزوجته وإخوته، فجاء إسرائيل وبنوه إلى مصر وسكنوا مصر مع الأقباط، وأحبّ عزيز مصر سيّدنا يوسف عليه السلام عندما استطاع أن يُفسر له الرؤيا، ولكنّه لم يعتنق دينه. ثمّ مات يوسف عليه السلام وانتهى الأمر.

س من هم سكان مصر الأصليّين؟ هم الأقباط أي الفراعنة.

ج عندما فتح المسلمون مصر، منهم من أسلم ومنهم من بقي على النّصرانيّة وهم الأقباط اليوم.

في الأمر والنّهي

باب تغليظ عقوبة من أمر بمعروف أو نهى عن منكر وخالف قوله فعله:

قال الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

(١) سورة البقرة، الآيات: ١٣١- ١٣٣.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٢٠.

قال رسول الله ﷺ: «رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي رِجَالًا تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِضَ مِنْ نَارٍ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ فَقَالَ: الْخُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ، يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يعقلون»[1].

وعن أبي وائل قال: "قِيلَ لِأُسَامَةَ لَوْ أَتَيْتَ فُلَانًا فَكَلَّمْتَهُ، قَالَ: إِنَّكُمْ لَتُرَوْنَ أَنِّي لا أُكَلِّمُهُ إِلَّا أُسْمِعُكُمْ، إِنِّي أُكَلِّمُهُ فِي السِّرِّ دُونَ أَنْ أَفْتَحَ بَابًا لا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ، وَلا أَقُولُ لِرَجُلٍ أَنْ كَانَ عَلَيَّ أَمِيرًا إِنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ، بَعْدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالُوا: وَمَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ: قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ- تخرج- أَقْتَابُهُ- أمعاؤه- فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلَانُ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ المُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالمَعْرُوفِ وَلا آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَآتِيهِ»[2].

وعن النّبيّ ﷺ قال: «إِنَّ أُنَاسًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَنْطَلِقُونَ إِلَى أُنَاسٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: بِمَ دَخَلْتُمُ النَّارَ؟! فَوَاللهِ مَا دَخَلْنَا الْجَنَّةَ إِلَّا بِمَا تَعَلَّمْنَا مِنْكُمْ، فَيَقُولُونَ: إِنَّا كُنَّا نَقُولُ وَلَا نَفْعَلُ»[3].

في الأخلاق والآداب

من الأخلاق المحمّديّة: الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر

هذا الخُلُق مُستمدٌّ من اسمي الله تعالى «**النّور الهادي**».

والتّخلّق باسم الله «**النّور**» هو بالسّعي إلى إخراج نفسك وأحبابك والنّاس من الظّلمات إلى النّور: من ظلمات الجهل إلى نور العلم، من ظلمات الوهم إلى نور الفهم، ومن ظلمات الهوى إلى نور التّقوى، ومن ظلمات الأخلاق الذّميمة إلى نور الأخلاق المُحمَّديّة.

والتّخلّق باسم الله «**الهادي**» هو بإرشاد العباد إلى مصالحهم الدّينيّة والدّنيويّة جملة وتفصيلاً.

عند رؤية الفساد وانتشار المعاصي والرّشاوي وأذيّة الطّبيعة أو الأملاك الخاصّة فليس المطلوب فقط أن تشتكي وتستنكر، ولكن أن تعمل وتغيّر. فالمطلوب التّغيير لا الاعتراض لمجرد الاعتراض. شرط أن تنصح بأسلوب جميلٍ راقٍ يناسب مجتمعك حتى لا ينفروا منك وأن تعمل على نشر الوعي ونشر الأخلاق المُحمَّديّة.

الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر فنٌّ وذوق وحكمة تصل بها إلى الإصلاح. قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ ...﴾[4]. فهذا يكون بالنّصيحة والدّعوة إلى فعل الطّاعات وترك المعاصي. وتبيين الصّواب من الخطأ بشرط أن يكون برفق وحلم وعفو وحكمة. قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ...﴾[5]. وقد قال رسول الله ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»[6].

---

(١) رواه ابن حبّان في صحيحه، عن أنس بن مالك، كتاب: الإسراء، باب: ذكر وصف الخطباء الذي يتّكلون على القول...، حديث رقم: ١٥٣، وهو صحيح بمتابعاته.

(٢) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي وائل عن أسامة، كتاب: بدء الخلق، باب: صفة النار، وأنها مخلوقة، حديث رقم: ٣٢٦٧.

(٣) رواه الطّبرانيّ في المعجم الكبير، عن الوليد بن عقبة، باب: الواو، ما أسند الوليد بن عقبة، حديث رقم: ٤٠٥.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٥) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٦) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي سعيد. رقم الحديث: ٤٩. كتاب: الإيمان. باب: بيان كون النّهي عن المنكر من الإيمان.

أفضل ما يمكن نشره بين النّاس هو **الأخلاق المُحمَّديّة** بشتّى الوسائل المتاحة لك. ولكن عليك أن تتخلّق بها وتطبّقها على نفسِك أوّلاً أي أن تغيّر نفسك أوّلاً، وإلّا قيل لك كما جاء في كتابه العزيز: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[1]. وتبدأ بالدّائرة الصُّغرى، أي بأقرب النّاس إليك (عائلتك، أولادك،...) اتّباعاً لحديث رسول الله ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[2]، ثمّ المجتمع (في محيط عملك، الأصدقاء، الشّارع،...). شرط أن يكون النّصح بحبّ، كحبّ الوالد لولده، وأن يكون قصدك التّغيير لا الإنكار.

حذار! في هذا الخلق خطر عليك، فقد تتعالى على من هو دونك بالمعرفة والعلم، وترى نفسك أفضل منه وأنت تعظه، فتُبتلى بالكبر والعجب، وتقع في الهاوية! فاعلم أنّك مقصّر في أخلاق كثيرة ولست معصوماً عن الخطأ، فانصح النّاس وأنت تراهم خيراً منك.

لا تنهَ عن شيء إلّا إذا كان مُتّفقاً عليه ولم يختلفْ عليه العُلَماء.
لا تتجَسَّسْ على النّاس بنيّةِ إصلاحِهم، فَمن يعصِ الله سرّاً، فإنّ الله وحدَه يحاسبُه. أمّا مَن عصاه مُجاهراً فقد تعدّى ضَرَرُه إلى الغير وكان قُدوةً سيّئةً لهم.

وإذا كنت أنت من يتلقّى النّصيحة، فعوّد نفسك وروّضها على تقبل النّصيحة مع شكر النّاصح والدُّعاء له. ولا يتحقّق ذلك إلّا بتعظيم نفسك وتصغير محاسنك. وهذا معنى: «**اللهمّ اجعلني في عيني صغيراً، وفي أعين النّاس كبيراً**» (أي: استر عيوبي عن النّاس). وفي ذلك قال الله تعالى: ﴿وَالعَصْرِ * إِنَّ الإِنسانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلّا الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلوا الصّالِحاتِ وَتَواصَوْا بِالحَقِّ وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[3]. أي انصَح غَيْرَكَ بِالحقّ وَبِالصّبر واقبَلِ النّصيحَةَ مِن غيرك.

ومن الأساليبِ النَّبويّةِ التّربويّةِ في النّصيحةِ: التّوجيهُ والنّصح بِطَريقِ التّعميم. دون ذكرِ اسمِ صاحبِ الخطأ، فكان صلواتُ الله وسلامُه عليه يُبيّنُ الخَطَأَ ويذمُّه، وينصحُ المخطئ ولا يُشهّر به أمام النّاس، فكثيرًا ما كان يقول ﷺ: «ما بالُ أَقْوامٍ قالوا كَذا وَكَذا؟»[4]. وهو من بابِ التّوجيه المباشر، ولكن بأسلوب التّعميم دفعًا للحرجِ عن المخطئ، وَسترًا له، وَرِفقًا بِهِ، فيتعلّم المخطئ وغيره.
وكان السّلف إذا أرادوا نصيحةَ أحد، وَعَظوهُ سرًّا، وقال الشّافعيّ

تَعَمَّدني بِنُصْحِكَ في انْفِرادي ... وجنّبني النَّصيحةَ في الجماعهْ
فَإِنَّ النُّصْحَ بَيْنَ النّاسِ نَوْعٌ ... من التّوبيخِ لا أرضى استماعه

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٤.
(٢) رواه البخاري في صحيحه، عن عبد الله بن عمر. رقم الحديث: ٨٩٣. كتاب: الجمعة. باب: الجمعة في القرى والمدن.
(٣) سورة العصر
(٤) رواه مسلم في صحيحه، عن أنس. رقم الحديث: ١٤٠١. كتاب: النّكاح. باب: استحباب النّكاح لِمَن تاقَت نفسُه إليه.

في السّيرة والشّمائل

الخطاب في الآية لا ينطبق على اليهود فقط، بل على كل من سلك مسلكهم.

فالدّينُ كلمة تُقال وسلوك يُفعل فإذا انفصلت الكلمة عن السُّلوك ضاعت الدَّعوة، لأن من يراك تفعل ما تنهاه عنه يدرك أنك خادع وغشّاش، ولذا قال الحقّ سبحانه وتعالى: ﴿يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلون﴾ [1].

فلا بُدَّ للقول من عمل وهو ما كان عليه رسول الله ﷺ، فما أمر أصحابه بشيء إلَّا كان أسبقهم إليه، ولذا أمرنا الله تعالى باتخاذه قدوة فقال: ﴿لَقَدْ كانَ لَكُمْ في رَسولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُو اللهَ وَاليَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثيرًا﴾ [2] وكان سيّدنا عمر رضي الله عنه إذا أراد أن يأمر الرَّعيَّة بشيء بدأ بنفسه وأهله قائلًا: لقد بدا لي أن آمر بكذا وكذا، والذي نفسي بيده من خالف منكم لأجعلنَّه نكالًا للمسلمين. فلا بدَّ للعلماء والدُّعاة أن يكونوا قدوة إذا أرادوا إصلاح المجتمع، وهو المنهج الذي انتشر به الإسلام في كثير من البلدان مثل ماليزيا وأندونيسيا عبر التّجار المسلمين الملتزمين بتعاليم الإسلام.

في السّلوك

الإشارة: يا من رام الدّخول إلى حضرة الله، تذلّل وتواضع لأولياء الله، وتجرّع الصّبر في ذلك كي يدخلوك حضرة الله، كما قال القائل:

تَذَلَّل لِمَنْ تَهْوَى فَلَيْسَ الْهَوى سَهْلُ ... إِذَا رَضِيَ المحبوبُ صَحّ لَكَ الوَصْلُ

فإنْ منعَكَ من ذلك حبُّ الرّئاسة والجاه، فاستعنْ على ذلك بالصّبر والصّلاة، فإنّ الصّبر عنوان الظّفر، والصّلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر. فأدمن قرع الباب حتّى تدخل مع الأحباب، فالإدمان على عبادة الصّلاة أمره كبير، إلا مَن خلص إلى مناجاة العليّ الكبير، وتحقّق بملاقاة الشّهود والعيان، ومن رجع إلى مولاه في كلّ أوان، فإنّ الصّلاة حينئذٍ تكون له من قرّة العين.

الإشارة: قد يتوجَّهُ العتاب إلى أهل الرّئاسة والجاه، من العلماء والصّالحين، وكلّ من خُصَّ بشرف أو خصوصيّة، فيقول لهم الحقّ تعالى﴿ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ بالعلم أو السّيادة أو الصّلاح، وبأن فضّلتكم على أهل زمانكم، وخصّصتكم من أبناء جنسكم، فالعبد قد يُحاسب على جاهه كما يُحاسب على ماله، فمن صرفه في طاعة الله، وتواضع لعباد الله، وسعى في حوائجهم، وأبلغ الجهد في قضاء مآربهم، كان ذلك شكرًا لنعمة الجاه، فقد رُوِيَ في الحديث: «مَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ فِي حَاجَةٍ فَنَاصَحَهُ فِيهَا، قُضِيَتْ أَوْ لَمْ تُقْضَ؛ جَعَلَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ سَبْعَ خَنَادِقَ، كُلُّ خَنْدَقٍ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَأَوْجَبَ لَهُ الْجَنَّةَ»[3]

وأقسام الصّبر كلّها محمودة: الصّبر في الله، والصّبر لله، والصّبر بالله والصّبر مع الله إلا صبرًا واحدًا وهو الصّبر عن الله:

وَالصَّبْرُ يَحْسُنُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا ... إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومُ

---

(١) سورة الصف الآية: ١-٢

(٢) سورة الأحزاب الآية: ٢١

(٣) رواه ابن شاهين في فضائل الأعمال وثواب ذلك، عن أنس، باب: فضل قضاء حوائج المسلمين، حديث رقم: ٤٢٢.

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾

أشْهَدَ بني إسرائيل فضل أنفسهم فقال: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾. وأشهد المسلمين من أمة محمد ﷺ فضل نفسه فقال: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾[1] فشتّان بين مَنْ مشهودُه فضلُ نفسه، وبين مَنْ مشهودُه فضل ربّه.

قوله ﷻ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ ٤٨﴾

وتخويف الله لعباده على ثلاث مراتب:

١. خوّف الله تعالى العوام بأفعاله فقال: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[2] ﴿واتقوا النّار﴾[3].

٢. وخوّف الخواص بصفاته فقال: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾[4].

٣. أمّا خواصّ الخواص فخوَّفهم بنفسه فقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾[5]. [يقطع عنكم الوصال].

في الإعجاز العلميّ

في أشراط السّاعة

في الأدعية والأذكار

اللَّهُمّ إنّي عصيتك بجهلي وقضاك، فاعفُ عنّي بحلمك ورضاك، وأزل حجاب الغفلة عن قلبي حتّى أراك، يا حليم لا تعجل بالعقوبة على من عصاك. [كلّ بني آدم خطّاء، وخير الخطائين التوابون].

نسأل الله تعالى أن نكون من أحباب الله. [دعاء أبي الحسن الشاذلي] **اللَّهُمَّ اجعل سيِّئاتنا سيِّئات من أحببت، ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت.**

(١) سورة يونس، الآية: ٥٨.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣١.
(٤) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.